

نظرات في النفس والحياة

- ١٨ -

ثمة نظرات جوتانا

تنقسم حياة جوهان ولقحاج فون جوتانا الى عهود : أولاً عهد العاصفة والشدة وهو عهد الاندفاع مع العاطفة والامتثال للخيان وفيه ألف (جوتز) و (ورتر) . ولو انه لم يكن مسلماً لكل الامتثال كما سيتضح من تفسير (زهتسر) بالنون و (دودن) لمعنى مؤلفاته في ذلك العهد . ثم يأتي عهد رحلته الى ايطاليا ومكثه فيها وقد أكتبته الآثار النقدية ميلاً الى المذهب الكلاسيكي وزادت الآثار التي كان قد ائتمسه بقراءة كتب القدماء . وبعد عودته بدأت صدائته لغير الشاعر وكان شير أشد ميلاً الى التعبير عن الجانب الثائر من النفس البشرية كما في قصة (وليام تل) و (الصومس) و (دون كارلوس) و (عذراء أورليان) وهذا مذهب خلفه جوتانا بعد تأليف (جوتز) و (أحزان ورتز) كما أن في قصص شير أساساً وصفهم بصفات الكمال الانساني بينما أتأس قصص جوتانا يتعززون في أخطأهم ويتعلمون منها ومع ذلك كان جوتانا مترافقاً فلم يحاول اطفاء نورة النفس على مفاسد الحياة ونظمها . ولكنه مع ذلك كان يدعو الى تطهير النفس أولاً من شوائب الأحقاد والآثمة قبل حل شعلة الحرية المقدسة . وكذلك كان يفضل العمل المتدرج ويرى انه أرفع من النظرة التي تؤدي الى التراجع والتفاس والتقهقر والانتكاس .

ولعل آرائه هذا سبب هدد الأحزاب المتطرفة له . وفي كتابه نجده يحاول إبراز الحق الذي في الآراء المتناقضة ويرى أن من الحكمة أن لا يهمل الحق الذي يخالف الباطل . وهذا من شدة اعزازه للحق وبيانه له من النضاع في أي جانب كان بينما كان غيره اذا أراد محو باطل لا يصرح الحق الذي يهازجه . ومن أجل هذه النغمة فيه قد يخال انه يتردد بين التقيضين ولا تردد له . ولعل زهتسر (بالنون) هو الناقد الذي فسره أحسن تفسير وقامه ادوارد دودن . ومن تفسيرها يرى ان ورتز في قصة (أحزان ورتز) يمثل الشاب الذي يعالج

احساساً شديداً لا يؤدي الى عمل نافع ثم هو يطلب المجال ويسوقه الغيالي وكل هذه صفات مرض ونقص تؤدي الى الهلاك كما أدت الى هلاك ورتز. فهو لم يصف ورتز كي يكون بطلاً يحثذي بل وصفه للمعزة والاحترار وتجنب صفات تقصه. ولكن كثيراً من الشبان تشهروا به فيها كبراً. ولعل سبب تشبههم به أن جورتا يكسو أخطاء الشاب ورتز ويعيوبه بحاله وهو لو لم يكسبه لاختطاً، لأن أخطاء الشاب ويعيوبها مكسوة بطبيعتها بحاله روح الشبان وهو بحاله فني.

وفي قصة (ولطم مايستر) يتدرج الشاب ولطم من الاتياد للخيال الكاذب والعاطفة المحرقة، وهو يستهويه مرة بعد مرة. فيكون عمله وخلقه غير مطابقين لمقاصده فيتدرج بالتعلم من أخطائه ويعيوبه الى الصبل الصحيح المنتج والى فهم الامور على حقيقتها بمدتضليل الغيالي له تضليلاً طويلاً قد يعزل معه القاريء اذا كان شاباً وقد يستهويه ذلك الضلال. ولكن جورتا لا يريد للشاب أن يتعلم كما تعلم ولطم مايستر من عيوبه. وأخطائه اذ أن هذا يكلفه من الجهد والوقت ما هو أقسى وأطول من أن يضيع هكذا. ومن أجل ذلك رسم خطة تعليم تجنب الشبان مثل أخطائه ولطم.

وكذلك ترى في قصة (فوسو) الرجل الذي يستعبد الغيالي ويكاد يهلكه لولا أن له صديداً ينجييه. أما في قصة فوست فوسو الذي استعجلت فيه روح التملك والسيطرة حتى قلقت حيبته وهو غير مالك لنفسه ولا مسيطر عليها وكاد يذهب ضحية الانواء لولا انه ارتدع وانمظ وعصى أظيس (مستو فيليس) في اللحظة الأخيرة. وبذلك نجوا ولم يرد جورتا للناس أن يتقادوا الحب النسيخة كما اتقاد فوست في أكثر حياته (ولو انه عرضة هرباً طيباً مغرباً) بل هو يرى أن لا حاجة للعالم والامم الا بأن يتعلم الاحاد والامم ضبط النفس والقضاء على طائفة حب التملك والتحكم.

وهكذا نجد لكل قصة من قصصه درساً ومرهقة ومخطىء من يستهويه بحاله النفس فلا يبحث عن الفكرة الفلسفية والمغزى المراد.



والرغم من هذه الثقافة العالية فقد اختلف النقاد في فهم من أسقطه ومنهم، وهم الأكثرية ممن دفعه الى السماء من الفن والثقافة: قال (بورن): لقد فضل جورتا الدعة والراحة على البطولة والآلام. ولكن الأبطال لا تزدحم الآلام عن نصر الحربة وتقد مفاسد الحكومات والانتصار لشعوبهم كما فعل مونتسكيو وفولتير وروسو اتدس اتفقير المريض

التي عاش بالرغم من ذلك حر الرأي، وملتون الذي لم يمنعه قرض انشعر من محاربة الاستبداد»

وقال منزل : « ان كل مؤلفات جوتا انما هو عرض لشخصيته في أحسن وضع في . فانزل مع خصوبة ذهنه وخياله ما كان يهيم غير نفسه واشياءها من كل احساس بمظاهر الجمال . وقد كان جوتا يدل تحرير العقل الألماني ان يحد من عقله وعقل قومه فير كل ثقافة وان يداعب حضارة كل أمة تحت انشعر مداعبة الممثل الذي هو الترف واللذات والآثرة»

وقال جان بول رختر : « عندما أردت أن أزرر جوتا قيل لي انه الآن لا يعجب بشيء ولا يستحسن شيئاً وحتى نفسه التي كان يعجب بها أصبح لا يعجب بها . سألت صديقاً لي ان يحوطني الى حفرة مشجرة أقدمها له لعل غرابة شكلها تستدعي قلبها لها . وفي أثناء الحديث ظل ساكناً الى أن جاء حديث الفنون فقرأ لنا قصيدة له لم تنشر . وكنت أشعر أن صوته يحاول أن يدفع بحرارة قلبه كي تحترق نشاء التلج المنهدم فوقه » ومثلما انجرد ضده وصفه به جليج في شيا » .

وقال كارليل « ان عصر جديد ، ذلك العصر الذي يتأخر فيه رجل حكيم قائل يستوعب ويحمل ثيوب عصره ويتغلب عليها ويدق لنفسه طريقاً في اتجاه وطريق كان لا يمكن اختراعها . وهذا هو ما صنع جوتا ، ومؤلفاته هي مرآة عصره الذي وضعه وأوضحه وفره » .

وقال نيرهر : « ان الألمان الآن يسمون اسم جوتا بنحشوع وإعجاب كما كان قدامه الإغريق يسمون اسم هومر . وجوتا قد بلغ في قومه منزلة لم يبلغها أحد غيره . وبسبب مؤلفاته صارت الأمم الأخرى تهتم بلادب الألماني وتحترمه » .

وقال أمرسون : « نير في العالم شيء لم يهتم جوتا بدراسته وتفهمه . فهو مقرر يسجل كل أمر وظاهرة وقد وصل في بحثه إلى حدود الجمهور . ثم خطأ خطرة وراءها وطاد سلباً كما كان قدامه الإغريق يقولون أن الاسكندر المقدوني وصل في فتوحه إلى حدود العالم ثم خطأ خطرة وراءها » .

وفيما يلي تلمحة لنا أختير من كتابه مع بعض التلطيح عليها : —
(١) مهما كانت حياة الإنسان حياة متتادة مألوقة ومهما كانت النفس راضية بهذه

الحياة فإن في النفس نزوعاً خفياً إلى مطالب أسمى ونزعات أرفع وأملاً للنفس من تلك الحياة المأثورة الممتدة . والنفس تبحث حولها عن وسائل تؤدي بها تلك المطالب وترضى بها تلك النزعات - وتقول جونا هذا يذكرني بقصة جون بوكان التي عنوانها (ملوك البرونزا) وهو يتخيل فيها ان ملوك ذلك العالم المرصوف قد حكم عليهم انه يهبطوا إلى هذا العالم الأرضي ، وإن تعيش نفس كل ملك في نفس انسان من السوقة ؛ وقد ذكر في الفصل القديم ان نفس كل انسان تجمع بين فرد وأسد . وفي قصة جون بوكان ترضي النفس بالزيارة المتبادلة المأثورة حتى إذا تحركت نفس الملك التي فيها نزعت إلى مطالب عالية وأظهرت وسائل ومساكن أسمى مما اعتادته .

(٢) كما تعلم الإنسان درساً هاماً في الحياة عاقه الفقر الروحي عن الاستفادة منه كثيراً . ولكنه مع ذلك يكتسب رويةً قليلاً من الخبرة به . ولهذا هذا النفس الروحي كما سماه جونا أو العجز الدائم كما سماه ميكنين الناقد الأمريكي هو سبب تخلف الإنسان عن ساير الأنواع بسبب عدم الاستفادة منه أعظم فائدة كما وصف الأستاذ جوردان هو كسي وسبب اختلال حياة الناس واعتزازهم بذلك الاختلال أو اعتزاز بعض المفكرين زاعمين أنه لو بطل الاختلال توقف نمو الإنسان الفكري . وهذا من باب جعل الانسان نقفاً وعييه محلة وميزة . وهذه الصفة في الإنسان قاعدة عامة سيكولوجية كما أوضح جونا في مقال سابق أي تحويله نقفاً إلى مبدأ محمود .

(٣) قد يخطيء من يظن أن شرف النفس يسوق صاحبه لطيفة قلبه عن يدراك مكر الخيانتة . ولكن اعتقاد المرء هذا الفن قد ينعوه إلى الاسترسال وقلة الحيطه ، فيكتشف أمره لدى شريف النفس ، حتى ولو كانت آراؤه محدودة كما أن مخالفة عمل الماكر لنا ألفت نفس الشريف النفس تطلعه أيضاً على احتيال الماكر الخبيث .

(٤) لا يستطيع المرء أن يؤسس مثالاً كاملاً إلا على أساس الأمور الواقعة الكائنة ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الكمال غير المحدود إلا عن طريق الأمر المحدود . وأما إذا حاول المرء تأسيس مثال الكمال على خياله غير المحدود لا على الأمور الواقعة المحدودة ضل سعيه وازدهاه الخيال واستعبده الوهم .

(٥) القوة التي تدعو المرء إلى التحكم والإثرة هي القوة نفسها التي لو شاء دعته إلى أن يتلا حياته جلالاً وحرية وأطاء فتم العالم هذه الأمور . ولكن عليه أن يواجه تلك القوة في نفسه إلى الجلال والحرية والأطاء توجيهاً مستأفهاً مستمرّاً مثابراً عليه .

(٦) إن الشعور الشديد في النفس إذا لم يُستَحْدَ كقوة لأداء عمل نافع كان مرضاً وأذى بل اختلال الحياة .

(٧) إن الطرائف جزء أصيل في النفس الإنسانية فإذا حاربتها فإنها تختفي حتى نطنق أنها قد زالت . ولكنها تكن في خبايا النفس حتى تجد فرصة فتظهر . (هذه النظرية لا تعلق على جميع الناس . فهناك أشخاص قوموا كل خرافة قعاً أهدياً فلا يمكن أن نجد في أنفسهم فرصة لكي تظهر - المقتطف)

(٨) إن الرجل الذي يتعلم بالفتنة الحدود والقيود التي ينبغي أن يتقيد بها شمه يلتزمها مختاراً غير مقهور يستطيع مع ذلك أن يصل إلى الحرية . أما الرجل الذي يستعسر على التزام تلك الحدود والقيود قهراً فإنه قعاً يصل إلى الحرية وهو إن وصل إليها وجد لها مرارة وألماً

(٩) لا تنال أمة ملكة الحكم على الحقائق حكماً صادقاً إلا إذا استطاعت أن تحكم على نفسها حكماً صادقاً . فالأمة التي تستعسر على الحكم على نفسها لا تستطيع الحكم على الحقائق حكماً صادقاً . وهي لا تستطيع الحكم على نفسها إلا بعد مراحل من الثقافة والنضج والنوعي الصادق .

(١٠) إن مقاومة الحقائق الفكرية مثل تحريك النار إنما تُطِير منها ما يشبه الشرير فتشتعل النار فيما لم تشتعل فيه من قبل . فالصنف ليس السبيل لمحاربة الرأي لأنه بعد محجراً عن محاربه بالحجة .

(١١) ليس النجاح في الحياة في معرفة النفوس البشرية بل في أن تكون أكبر لباقية ومهارة في وقت معين من دقائقك الذي هو أمامك يواجهك . فربما كنت خبيراً بالنفوس ولكن لا تستطيع أن تتذرع بحجرتك .

(١٢) من الصعب أن يعرف الناس بعضهم بعضاً حتى ولو كان داعيمهم إن ذلك العرفان أحسن اليول وأسمى المتناصد فكيف بهم إذا تملكتمهم إرادة الشركا بمحدث في كثير من الأحوال عند الحكم على الناس وهذا كما قال رومان وولان : « إن كل إنسان لغز يصعب حله سواء أكان يحاول حل لغز نفسه أم لغز نفس غيره ومع ذلك فلا يستطيع الناس أن يتتبعوا عن الحكم على الأئفس والأخلاق إذ أن هذا الحكم جزء ضروري من الحياة